مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد12-العدد02– 2021،ص ص 324- 347

مساهمة البحرية الجزائرية في اقتصاد ايالة الجزائر خلال القرن السابع عشر 17م

The contribution of the Algerian navy to the de-economy during the 17th century

هيبة كنيوة[1]*، رضوان شافو[2]

[1] جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي (الجزائر)، kenioua-hiba@univ-eloued.dz

[2] جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي (الجزائر)، Redhouane-chafou@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام : 2021/04/27 ؛ تاريخ القبول : 2021/06/05 ؛ تاريخ النشر : 2021/06/07

الملخص

أدت البحرية الجزائرية دوراً كبيراً في ثراء إيالة الجزائر، من خلال عملها المكثف داخل البحر الأبيض المتوسط وخارجه، نتيجة تظافر عدة عوامل كان لها الدور الفعال في عمل الأسطول البحري، ومن أهم هذه العوامل هي: الهجرة الأندلسية طيلة القرن السادس عشر إلى غاية الطرد النهائي في الفترة 1609-1614م، ودخول التقنية المتطورة، التي جاءت مع المغامرين الأوروبيين الذين رغبوا في العمل داخل الأسطول الجزائري، والصراع بين الدول الأوروبية، مما رجع على البحرية الجزائرية بالإيجاب، فتنوعت عوائدها من غنائم وأسرى، كان لها دوراً كبيرا في انعاش الحياة الاقتصادية للإيالة.

الكلمات المفتاحية : البحرية الجزائرية، العوائد البحرية، خزينة ايالة الجزائر، الغنائم، الأسرى، الحياة الاقتصادية.

***هيبة كنيوة.**

Abstract

The Algerian navy played a big role in the richness of Algeria's treasury ayal Through intense work in side and outside the medetirrean, as aresult of theysinergy of several factors that had an, effective role in the work of the naval fleetm and of the most important of the factors: Andalusian immigrattan through hoot the sixteenth, intil the final parsel in the periode 1609_1614 -And antering the advanced technology, that came with European adventures, who wanted to work in the Algerian naval fleet- And the conflict between European countoies, wsich returned to the Algerian navy in the affirmative so diversified its returns from the spoils and the prisoners, it had a geat rol in reviving economie life to iyala.

Keywords : the Algerian navy; the maritime returns; the treasury of Elala Algeria; the spoils; the captives; the economic life.

(مقدمة) :

عرف البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر (16م) صراعاً بحرياً شديداً بين القوى الإسلامية والمسيحية متخذين الدين غطاءً له، ودارت رحى هذا الصراع بين البحرية العثمانية وإيالات المغرب خاصة إيالة الجزائر، وبين الإرمادة الإسبانية والإمارات الإيطالية بمباركة الكنيسة، إلا أن هذا الصراع ونظراً لتطورات خارجية وأخرى داخلية لكلا طرفيه، أخذ يغير في أشكاله و أهدافه العامة، من نهاية القرن السادس عشر 16م وطيلة القرن السابع عشر 17 م، خاصة بعد توقيع معاهدة السلام بين العملاقين (الدولة العثمانية، إسبانيا)، فتحول الصراع من الحروب الكبرى إلى الحروب الصغرى، بالأخص في الجزء الغربي للبحر الأبيض المتوسط، والتي حملت لواء الدفاع عنه إيالات المغرب خاصة الجزائر، معتمدة على عدة عوامل ساعدتها للدخول في حروب ضد الدول الأوروبية الصاعدة والساعية للسيطرة على البحر، لتوسيع وتنشيط أعمالها التجارية بكل الوسائل، بل أحيانا التفوق عليها، لتمزج هذه الحروب بين الجهاد البحري، والسعي إلى تنشيط الحركة التجارية، التي تتمحور حول فكرة توفير غنائم جيدة وثمينة، للوصول إلى أعلى قيمة مالية، مما ساعد على انتعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية لإيالات المغرب العثمانية، من هنا جاء التساؤل حول مساهمة البحرية الجزائرية في اقتصاد إيالة الجزائر خلال القرن السابع عشر؟

ماهي العوامل التي ساعدت البحرية الجزائرية في السيطرة الشبه تامة على الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط؟

فيما تمثلت الموارد البحرية خلال القرن السابع عشر؟

أن الهدف من هذه الورقة البحثية هو إبراز انعكاس وفرة موارد البحرية على خزينة الدولة، وعلى الواقع الاقتصادي والاجتماعي لإيالة الجزائر، ولإنجاز هذه الورقة اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي لوصف مراحل تطور نشاط البحرية الجزائرية، والمنهج التحليلي لتحليل المعطيات التي توفرت لنا حول مداخيل البحرية الجزائرية عصرذك، وكيف ساهمة في

اقتصاد الايالة، اعتمدت لإنجاز هذا على دراسات سابقة حول الموضوع والتي أهمها رسالة دكتوراه لسمير مشوشة الموارد البحرية للجزائر العثمانية خلال القرنيين 11-12ه/ 17-18م، التي ابرزت الموارد البحرية دون التركيز على انعكاسها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الايالة الجزائرية، و دراسات البير ديفو Devoulx Albert سجل غنائم البحر والتي تعتبر لا غنى عنها في مثل هذه الدراسات.

I. – أعمال البحرية الجزائرية خلال القرن 17م :

قبل التطرق إلى تحول النشاط البحرية من الجهاد البحري إلى تفعيل الاقتصاد الايالة، وجب الاشارة إلى حقيقة هامة والمتمثلة في ظاهرة القرصنة، التي اقترنت بالحرب والتجارة(المنور، م. 2009: 37).

I.1. – مفاهيم اجرائية:

أطلق على الحروب البحرية خلال القرنين الخامس والسادس عشر الميلادي مصطلح القرصنة وهي حسب ابن اشنهو من اختراع الافرنج، حيث لا يوجد لها مرادفا في اللغة العربية بل استعربت في القرن التاسع الهجري ، وكان من يتعاطاها يسمى قرصانا، وهم معروفون عند ابن خلدون بغزاة البحر(بن اشنهو، ع ح.1972: 296) ، فالقرصنة ظاهرة استوطنت البحر المتوسط(شوفالييه،ك. 2007: 49) ، فلم تكن جديدة فيه بل كان ميدانا ومجالا لها يتبارز فيه العرب و الافرنج(نور الدين، ع ق. 2006: 64). إلا ان ازدهار نشاطها كان في القرن السادس عشر وما بعده، نتيجة تطور السفن الملاحية(زيتوني، إ. 2012: 37) ؛ والقرصنة عند بروديل شكل من أشكال الحرب، وهي لم تكن نشاطا فرديا، بل نشاط جماعات وشبكات تشترك المدن والدول في تنظيمها، الأمر الذي يؤكد انها كانت من ذلك الوقت ومن مزاياه(بروديل، ف. 1993: 151).

إذا فالقرصنة هي نوع من الحرب تقوم الدولة فيها باشراك الخواص من أصحاب السفن من حيث التكاليف والفوائد(Gilbert,B ph.2017: 218) ، وهي تختلف عن لصوصية البحر التي هي عملية نهب بلا عقيدة ولا قانون، وهي مدانة عالميا من طرف

القانون والأخلاق(لمنور، م. 2009: 8)، وهي أحد أشكال الحرب العسكرية التي يمارسها المغاربة ضد الدول المسيحية، والتي تضفي عليها بعدا قانونيا ودينيا، تعمل تحت لواء الدولة، التي تقوم بسن القوانين وتسهر على تطبيقها(Daniel ,P.2002: 2).

وقد تم الاعتراف بالقرصنة كنشاط قانوني من قبل الدول، وأصبحت تقدم تراخيص وتسريحات قانونية للقراصنة، من أجل تشجيعهم للاعتداء على سفن الأعداء في القرن الثالث عشر ميلادي 12م، وكان أول تسريح مكتوب ومرخص من قبل الملك فليب أوغست Philippe Auguste في ماي 1206(Xavier,L. 2002) ، فالقرصنة حرب مشروعة تتم بواسطة بيان صريح للحرب، أو ترخيص يتم بموجبه تجهيز سفينة حربية وجوزات سفر (شوفالييه،ك. 2007: 49).

كما وضحنا سابقا فالقرصنة (الحروب البحرية)، تختلف عن العمل الفردي المعروف بلصوصية البحر، حيث يكون القرصان حرا في النهب، لا يعترف بأي سلطة فوق إرادته الخاصة(وولف، ب ج.2011: 179) ، وهم يختلفون عن رياس البحر الذين يقومون بمهمة موكلة إليهم من قبل الدولة، ولا يشنون حربا إلا على أعداء دولتهم، فمهمة الرياس تشبه وتتداخل مع مهمة القرصان إلا انها ذات طابع قانوني(Gilbert,B.2017: 218). وبما أن الجزائر اعتبرت من أقوى الدول التي تعاطت هذا النشاط، نظرا لأنها قامت ونشأة على القرصنة، ونظرا لأن واقع البحر الابيض المتوسط، موسوم بالنشاط الكبير للملاحة والتجارة، لهذا فالسفين فيه كانت عرضة لقراصنة الدولة والقراصنة الخارجين عن القانون، مهما كانت جنسيتهم ودينهم، فالقراصنة لم يحترموا الصراع البحري بين المسلمين والمسيحيين فقط، بل حتى بين المسيحيين أنفسهم(Gilbert,B A.2004:9) ، فكانت الاضرار التي تحدثها القرصنة الجزائرية، تعتبر محدودة أمام ما تحدثه القرصنة الانجليزية والهولندية والفرنسية ضد المعسكر الإسباني(لمنور، م. 2009: 200) ، وهذا ما يصفه بروديل بقوله:" ...وفي الجهة الأخرى من البحر المتوسط كانت مالطا مركزا للقرصنة وشبكاتها، على نحو ما كانت الجزائر، هكذا كانت القرصنة، بتقلباتها وبمناطق ازدهارها، تعكس بوضوح الحركات الكبرى للحياة

المتوسطية"(بروديل، ف. 1993: 151) وبهذا أعمال البحرية الجزائرية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، يدخل ضمن غطاء أعمال مرخصة من قبل الدولة العثمانية.

2.I. الجهاد البحري للبحرية الجزائرية:

بما أن القرن الخامس عشر 15م، عرف تغيرات كبرى على الساحة الدولية من فتح للقسطنطينية 1453م، إلى سقوط غرناطة 1492م، وبداية حروب الاسترداد الإسبانية ضد مسلمي الأندلس، وعليه ستكون سواحل بلاد المغرب في مواجه مباشر مع الإسبان، مما جعلهم خاصة الجزائر يتبنوا الجهاد البحري بعد تعرض سواحلهم إلى الاعتداءات المسيحية الإسبانية والبرتغالية(بليل،ر.2010: 19)، وفي هذا الصدد يقول المؤرخان الجزائريان ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي:" لقد كان الجهاد البحري في الجزائر ردة فعل مباشرة على التهديدات المسيحية، التي اتخذت إثر سقوط الأندلس أواخر القرن الخامس عشر ميلادي شكل حملات صليبية باركتها البابوية بروما، وتزكيها الحكومات الأوروبية، وتتزعمها إسبانيا الكاثولوكية"(سعيدوني، ن د- بوعبدلي، م 1984: 43)، و تعزز هذا النشاط ونمت القوة البحرية بظهور عروج وخير الدين، وإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية 1519م مما اضفى عليها طابعة القانونية، وخاصة بعد تحطيم حصن البنيون(بوعزيز، ي. 2009: 38) سنة 1529 وزوال الخطر الإسباني، وكانت البحرية الجزائرية مفتوحة للمتطوعين الذين يرغبون في الجهاد تحت راية الإسلام، مما جعلها ملاذ للأندلسيين الراغبين في الانتقام من الإسبان(قنان، ج. 1994: 33) ، فأخذ هذا الصراع "الجهاد البحري" طابع العالمية ضمن إطار النزاع بين قوتين عالميتين متصارعتين للفوز بسيادة البحر الأبيض المتوسط(سعيدوني، ن د- بوعبدلي، م. 1984: 43)، خاصة بعد اتباع إسبانيا سياسة تهدف للقضاء تدريجيا وبصورة جذرية على كل مظاهر الإسلام اتجاه مسلمي بلاد المغرب والأندلس(زيتوني، إ. 2012: 24).

وبفضل الجهاد البحري تمكن البحارة الجزائريون في الفترة الممتدة من 1528-1584م من شن ثلاثة وثلاثين غارة بحرية ناجحة على السواحل الإسبانية، انقضوا خلالها الكثير من الأندلسيين المهددين بالتنصير أو الموت، ومن أشهر هذه الغارات نذكر الغارة التي شنها

ايدين رايس وصالح رايس[1]، بطلب من خير الدين سنة 1529م، وتمكن خلالها من انقاض 600 مسلم من نواحي بلنسية، ورغم تعرض السفن الإسبانية لهم إلا انهم تمكنوا من العودة باللاجئين إلى الجزائر، كما قام حسن فنزيانو[2]، و مراد رايس بعمليات حربية، وقد نقل حسن فنزيانو سنة 1584م حوالي ألفين من مسلمي الأندلس كانوا يتعرضون للاضطهاد، ولم تسلم كل من ضواحي قرطاجنة وسواحل لورقة من هجمات الرياس الجزائريين(سعيدوني، ن د- بوعبدلي، م 1984: 44).

وعليه كانت هجومات البحرية الجزائرية موجه لضرب البحريات الأوروبية الصليبية خاصة الإسبانية التي حملت لواء الحروب المسيحية المقدسة، من أجل انقاض مسلمي الأندلس المتعرضين للقمع والاضطهاد المسلط عليهم بسبب التعصب الصليبي، هذه المحنة التي تعرض لها الأندلسيين والنداءات المتكررة من أجل انقاض ما يمكن انقاضه، جعل البحرية الجزائرية توجه ضرباتها على السواحل الإسبانية وتعرقل طرقها التجارية(هلايلي،ح- مسعودة،ب.2017: 567)، ويصور هذا الصراع جون ب وولف بقوله :"في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر حين كان الهلال يقف في وجه الصليب في البحر الأبيض المتوسط، وأحواض نهر الدانوب، كان البحارة يحاربون أما باسم الصليب، وأما باسم الجهاد"(وولف،ب ج. 2011: 179).

وكان أعظم تصادم بين الروح الصليبية، والمد الإسلامي، في الفترة الممتدة بين 1568-1574م، حين دعمت البحرية الجزائرية المقاومة المورسكية المسلحة في جبل البشرات(1568-1570م)، وانهزام الأسطول العثماني أمام التحالف الصليبي الكبير في معركة ليبانت 1571م، وقد نجا منها الأسطول البحري الجزائري بفضل حنكة رايسها علج علي، مما جعله يعين فيما بعد أميرال الأسطول العثماني، ويعتبر تاريخ تحرير تونس من يد الإسبان سنة 1574م، هو أخر تصادم بين العملاقين البحريين العثماني والإسباني، ليختتم الصراع الديني بين الملك الكاثوليكي والسلطان العثماني عند عقد معاهدة هدنة بينهما بطلب من إسبانيا سنة

1577م (Braudel, F. 1928: 403)، لتنتهي الحروب المقدسة بين العملاقين في البحر المتوسط في 1580.

I.3- المزج بين الجهاد البحري والبحث عن القيمة الاقتصادية

بعد توقيع الهدنة بين الإمبراطوريتين العثمانية والإسبانية سنة 1577م وانتقالهما إلى مجالات صراع كبرى تدور خارج المتوسط، لم تتوقف الحروب البحرية (القرصنة) التي كانت تخوضها البحرية الجزائرية، بل ظهر دمج بين هدفها العام ذا الطابع الديني، (الجهاد البحري)، مع البحث عن موارد مالية، حيث غدت الحروب البحرية (القرصنة) محورا أساسيا في تفعيل اقتصاد مدينة الجزائر، فبدأت البحرية الجزائرية تتحول شيئا فشيئا نحو الغزو البحري الذي كان الهدف من ورائه القيمة الاقتصادية، ومن هنا كانت نقطة التحول من الحرب الكبرى الحرب المقدسة والجهاد البحري نحوى الحرب الصغرى أي الغزو البحري3، وبذلك غدت القرصنة تتمحور حول فكرة الغنائم الجيدة والثمينة، خاصة بعدما احتضنت الجزائر المغامرين الأوروبيين الراغبين في الثراء السريع، وبالتالي أصبحت القرصنة والنشاط التجاري مرتبطان، فهذ يرتفع وذلك يستفيد من التقدم والازدهار (هلايلي،ح- مسعودة،ب.2017: 573).

II. – عوامل سيطرة البحرية الجزائرية على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط

ساعدت عدة عوامل البحرية الجزائرية حتى تسيطر سيطرة شبه كاملة على الحوض الغربي للبحر المتوسط والانطلاق في اتجاه المحيط الاطلسي ومن هذه العوامل:

تعززت قوة البحرية الجزائرية بهجرة الأندلسيون بأعداد كبيرة إلى الجزائر(قنان،ج. 1994: 33) ، منذ النصف الثاني من القرن 15م، حيث بدأت قبل سقوط غرناطة بحوالي 20 سنة، وطيلة القرن 16م وحتى بداية القرن 17م، لتنتهي بقرار الطرد النهائي من قبل الملك فليب الثاني في الفترة 1609-1614م(سعيدوني، ن.2013: 16) ، وقد أبل الأندلسيون بلاء حسنا، من حيث ارشاد البحارة الجزائريين لإحكام غاراتهم البحرية على الشواطئ الإسبانية، وتزويدهم بالمعلومات والمؤن وحسن اختيار مواضع الرسو والاقلاع(عنان،ع. 1998: 389-

390) ، وفي هذه النقطة تذكر أحد المذكرات الإسبانية كيفية مساعدت الأندلسيون للبحارة المغاربة:"...كبرياء الأندلسي يقامر من أجل التفوق على المدارك التي حصل عليها بخصوص دولتنا ووضعيتها، فأصبح ينصب الحيل متخذا ملابسنا وسلاحنا ولغتنا ليتمكن من خداعنا، متصرفا كأنه صديق لنا"(إميلي، ح. 2003: 112) ، لهذا كان للأندلسيين دورا كبيرا في زيادة نشاط البحرية الجزائرية وصناعة السفن، ففي سنة 1606 جهز الجزائريون سفنا أخذت شكلا دائريا تشبه السفن الشراعية الكبيرة، وهذا راجع إلى العمالة الأندلسية ذات الخبرة والعارفين بالملاحة وفنونها والماهرين في صناعة السفن(المدني، ت أ. 1965: 74).

تعززت قوة البحرية الجزائرية بدخول أطراف فاعلة، أهمها دخول العلوج والتقنية الحديثة المتطورة ذلك أن الملاحة في عرض المحيط والتحكم فيها، تتطلب تقنيات لم يكن بحارة الأسطول الجزائري يملكونها، لأن عناصر البحرية الجزائرية خلال القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر كانت من سكان البحر المتوسط، بدأت تتسرب إليها عناصر من الشمال أدخلت معها تكتيكا جديدا، وأشرعة جديدة، مما ساعدها على اجتياز البحر المتوسط ودخول المحيط، الذي ينبض بالحياة نتيجة انتعاش الملاحة التجارية فيه(زيتوني، إ. 2012: 27) ، ومن بينهم القراصنة الانجليز والهولنديون، الذين كانوا متعودون على هذه السفن(سبنسر،و. 2006: 170) ، وسلاحها البحري المتطور، وصناعة السفن البالغة القوة، حيث تم نقل المهارات الفنية والتكنولوجية في صناعة السفن مما أدى إلى تقليل عدد المجدفين[4] في السفن الحربية(Gilbert, B. 2005: 9) ، إذن فقد نتج عن ذلك كله التغيير المناسب في تركيب الأسطول الجزائري، خاصة بعد توظيف العلوج (المرتدين) إلى صفوف الطائفة البحرية، جالبة معها مهارات الفنيين الأوروبيين، مما مكن الأسطول من المحافظة على فاعليته في القرن 17م(سبنسر،و.2011 : 168-169)، فلما دخلت للقرصنة الجزائرية تقنيات متقدمة سمحت لها بالإبحار في اتجاه المحيط الأطلسي، ففي الفترة الممتدة من 1580-1620م استفادت البحرية من دخول الانكليز والهولنديون إليها، وهذا ما يؤكده أحد الإسبانيين في مذكرته :"إن التركي الذي لم تكن أياديه محررة لعدم توفره على من يساعده

ويلقنه فنون الملاحة، مثلما يقوم به الهولندي اليوم، الذي يعلمه ويمرنه ويعرفه كيف يمارس القرصنة ضد السفن" (إميلي،ح. 2003: 112).

ساهمت الوفرة الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط، والمحيط الأطلسي، واحتكار الأوروبيين للتجارة العالمية، واقصائهم لأي نشاط تجاري تتعاطاه الجزائر، في نمو وتطور القرصنة لتنال بها نصيبها من التجارة العالمية(زيتوني،أ. 2012: 30– 31)، خاصة بعد دخول انكلترا وهولندا للبحر الأبيض المتوسط، خلال القرن 17م، كدولتين تجاريتين، تهدفان إلى الانفراد بالتجارة الدولية، وبالأخص التجارة مع الشرق، من خلال تأسيس الشركات التجارية الكبرى، ذات التنظيم المحكم(غطاس،ع. 1985: 22) ، كشركة الهند الشرقية البريطانية[5]، وبسبب تخلف وسائل الدفاع والحرب والنقل البحري للدول الإسلامية، جاءت القرصنة عبارة عن تجارة مضادة لاحتكار التجارة العالمية، وفي هذا الصدد يقول عبد القادر جغلول:" إن القرصنة لا تعبر تماما بصورة ارتدادية عن إرادة التواصل لاوليجاركية[6] التركية مع الطبقة السائدة لدول المغرب الوسطية (الجزائر)، وفي الحقيقة تشكل هذه "التجارة المضادة" (المقصود بها القرصنة)، ردا على الاحتكار الذي تتمتع به السفن الأوروبية، في البحر الأبيض المتوسط الغربي، كما انها(القرصنة) نوع من توزيع الأرباح التجارية، في اطار الحصار المفروض من البرجوازية التجارية الأوروبية على البحرية التجارية الجزائرية"(جغلول،ع ق. د.س.ن: 42–43) ، وهذا ما جعل الأسطول الجزائري يكون مهيأ للإغارة على السفن التجارية، وليس من أجل مواجهة السفن الحربية(وولف، ب ج. 2011: 189)، كإغارتهم على السفن الاوروبية في المحيط الأطلسي المحملة بالثروات المنهوبة من أمريكا وآسيا وإفريقيا، وبالأخص قافلة الهنود الإسبانية المحملة بالذهب والفضة المنهوبة من أمريكا، حيث كان البحارة الجزائريون يأخذون نصيبا منها(المنور،م. 2009: 309)، مما جعل بعض المؤرخين يعتبرون الحروب البحرية (القرصنة) في هذه الفترة شكل من اشكال الحرب التجارية، تعتمد على التفوق في العتاد الحربي(هلايلي،ح– مسعودة،ب. 2017: 572)، فالنشاط البحري في هذه

المرحلة بدأ يغذي حلقة المبادلات التجارية في حوض المتوسط، والجزائر لن تكون مرسى لنشاط القرصنة، إلا لكونها مركزا تجاريا نشيطا.

تشجيع حكومة ايالة الجزائر للحروب البحرية (القرصنة) فتشجيعها لها كان منذ عهد خير الدين بربروس، سعيا منه إلى تحسين أحوال الأسطول البحري، حين عين مجموعة من الشباب الجزائريين ليتدربوا في المصنع السلطاني لصناعة السفن:"... وأما الاخرون فقد عينتهم في مصنع بناء السفن لكي يتدربوا ويتعلموا هناك"(بربا روس، خ د. 2010: 202) ، من أجل الاستفادة من خبرتهم في صناعة السفن البحرية في الجزائر، فتأسست الترسانة أو دار الصناعة البحرية في منتصف القرن 16م(الأمين،م أ. 2012: 70)، فكانت القرصنة تستفيد كثيرا من المساعدات المباشرة وغير المباشرة التي كانت الايالة تتكفل بها، حيث وسعت ووطدت المنشآت الخاصة، بالميناء والترسانة والأرصفة والمخازن والمستودعات، وغيرها من المنشآت البحرية(المروش، م. 2009: 201)، فمنذ القرن 17م فاختص مرسى الجزائر بصنع السفن المستديرة المقدمة والقادرة على الابحار في أعالي البحار، بفضل الفنيات التي قدمها للبحرية الجزائرية القرصان الفلامندي، سيمون دانسا(DEVOULX, A.1869:390)، وبفضل الطرق الفنية الحديثة التي استخدمها المهندسون الأوروبيون (سعيدوني، ن د- بوعبدلي، م. 1984: 65-66)، فكان للحكام مصلحة مباشرة في تنمية القرصنة، سواء باعتبارهم من أرباب السفن أو لكونهم أكبر الملاك لآلاف العبيد، الذين كانوا يستعملون كمجدفين في هذه السفن، كما أن الباشا كان له مثل كل كبار الحكام نصيب في الجهاد، وقد تكون هذه السفن ملكا له(محمد، ب س. 2017: 86).

III. – العوائد الاقتصادية للبحرية الجزائرية:

تنوعت العوائد الاقتصادية للبحرية الجزائرية خلال القرن 17م، مما جعلها تلعب دورا كبيرا في انعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية للإيالة، فكانت مرتبطة عضويا بالتجارة، لأنه لا وجود لقرصنة دون أن تكون هناك غنائم يقع الاستلاء عليها، والعمل على تسويقها كبضاعة داخليا وخارجيا، وهذه الغنائم هي السلع والسفن والأسرى، يوفرها الأسطول

البحري للقطاع التجاري، من خلال عملياته الحربية، وتأخذ الدولة نصيبها المتمثل في البنجك (يتمثل في خمس الغنائم مبدئيا لكنه في الواقع كان بين السبع والثمن)(المنور، م.2009: 202)، و تحصلت الايالة أيضا على مبالغ مالية كبيرة بسبب ما تفرضه من رسوم على الصادرات والواردات(سيدهم، ف ز. سبتمبر 2011: 27).

وعليه فقد اتخذت البحرية الجزائرية طابع المؤسسة الخاصة من أجل الربح، فكانت سفنها أما ملكا لكبار القراصنة أو الحكام، أو لشركات ذات أسهم، يتم فيها توزيع الغنائم حسب قواعد محددة، فكان نصف الناتج لأرباب السفن حسب عدد الأسهم التي يملكونها، والنصف الآخر يوزع على مجموع البحارة والمقاتلين، وكان عدد الأسهم محدد بدقة من أصغر بحار إلى رايس السفينة(المنور، م. 2009: 201).

ونظرا لما توفره الحملات البحرية من غنائم، كان المستثمرون في قطاعها ينتمون إلى كل المستويات الاجتماعية، فشملت حتى اليهود، الذين ساهموا بقسط في تجهيز السفن، وكان تنظيم الملكية النمطي يشمل التجار الرسميون في الحكومة، والضباط والانكشاريون، وأصحاب الدكاكين، والحرفيون وحتى الموظفون، كانوا يضعون في ذلك ما يتم توفيره من أموال، وفي بعض الأحيان يكون المالك لسفينة الريس نفسه، ويطلب المساعدة المالية لإعادة التجهيز أو شراء الأخشاب(بليل، ر. 2010: 21) ، وعليه انعكس ازدهار النشاط البحري على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، من خلال ما وفرته من مناصب شغل، حيث تم تشغيل ربع اليد العاملة في مدينة الجزائر حسب هايدو الذي يذكر أنه كان هناك 4000 عامل يشتغل في جميع مجالات البحرية، من بين 15000 أو 17000 شغيل من سكان المدينة(المنور،م. 2009: 203) ، إذا فقد مثل النشاط البحري مصدر رزق لجميع فئات المجتمع، داخل مدينة الجزائر، فهي عنصر أساسي ومؤثر في الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية في ذلك القرن.

III. 1- الأسرى:

شكل الأسرى الأوروبيين أكثر السلع رواجاً في إيالة الجزائر خلال القرن 17م، نتيجة النشاط المكثف للبحرية الجزائرية، وتحولت أهمية عملية الأسر خلال هذا القرن، من أسير لأجل التجذيف والبحث على اختصاصيين في البحرية والتسليح[7]، إلى جلب أعداد هائلة من الأسرى بغية الحصول على مبالغ الفدية، و التي تكون في أغلب الأحيان بالعملة الأجنبية (وولف، ج ب. 2011: 209)، مما جعل التجار من الأهالي يقومون بشراء الأسرى من سوق النخاسة[8] قصد الربح المتحصل عليه من خلال عملية الافتداء(المنور، م. 2009: 300)، تلك العملية التي شكلت نشاطا اقتصاديا مهما، فالقرصنة آنذاك شكلة ظاهرة عالمية آلت إلى ولادة مؤسسات لاسترجاع الأسرى وافتدائهم(فردناند، ب. 193: 153)، وبالرجوع لدراسة أجراها جوزي انطونيو وماتينيز توريس (José Antonio Martinez Torres)، قدما خلالها احصائية لعدد من الأسرى تم افتدائهم من قبل جمعية الرحمة والتثليث في المغرب والجزائر في الفترة 1535- 1696م، وهو 19299 أسير في 96 عملية افتداء(Antonio, J- Torres, M.2006: 74)، إي أنهم حرروا 201 أسير في كل عملية خلال 161سنة، اذا فقد شكلت القرصنة مظهر من مظاهر التبادل التجاري بين ضفتي البحر المتوسط.

إن عملية أحصاء عدد الأسرى في الجزائر، خلال العهد العثماني غير دقيقة، لان عدّها لم يكن من قبل أهل الاختصاص فجاءت الأعداد تقريبية يشوبها نوع من التضخيم خاصة عند معرفة أن أغلب الاحصائيات كانت من رجال دين أو من عند أسرى، بغرض تسريع عمليات الفداء، والجدول التالي يوضح عدد الأسرى في فترات مختلفة من القرن 17م من بعض المصادر الأوروبية.

الجدول 1: عدد الأسرى في الجزائر خلال الفترة 1619–1698

السنـــــة	مصـــــدر الاحصاء	تعداد الاسرى
1619	Jean-Baptiste Gramaye	أكثر من 35000
1625	Giovanni Battista Salvago	25000
1640	De Aranda	40000/30
1660	Davity éd. De Rocoles	35000
1662	Père Auvry (Miroir)	12000
1665	Du Val	أكثر من 40000
1678	De Fercourt	من 30000/20
1683	A. Manesson Mallet	40000 /35
1684	Pétis de la Croix	35000
1693	Lorance (Arch. «De Propaganda Fide»)	4000
1698	Lorance (idem)	1600

المصدر: Cresti Federico, 1987, p 131

كما يذكر وليام سبنسر أن خلال الفترة 1607–1618 استولى البحارة الجزائريين على أكثر من 12000 أسير(سبنسر، و.2011: 157) ، أما جون بيار بوسو Jean–Pierre Poussou يذكر أن خلال الفترة الممتدة من 1530– 1780 أسر البحارة المغاربة (تونس، الجزائر، سلا) حوالي 1250000 أسير أوروبي، وأغلب عمليات الأسر كانت في الفترة 1580– 1680 حيث تم أسر 850000 أسير أوروبي(Poussou, J-P. 2005: 120).

وبالعودة إلى الدراسات الجزائرية نجد أن ناصر الدين سعيدوني في دراسة له حول نشاط البحرية الجزائرية يعطي أرقاما للأسرى مقاربة جدا للأرقام الموجوده في الجدول أعلاه حيث:

1620 كان عدد الأسرى 35000 أسير

1634 كان عدد الأسرى 36331 أسير

1662 كان عدد الأسرى 21000 أسير(سعيدوني، ن د. 2009: 138).

من خلال الاحصائيات المقدمة آنفا نلاحظ أن الجزائر خلال الفترة المدروسة، كانت تحتوى على أعداد هائل من الأسرى، بسبب النشاط المكثف للبحرية الجزائرية داخل البحر الأبيض المتوسط وخارجه، نتيجة تطور تقنية صناعة السفن، خاصة في النصف الأول من القرن السابع عشر، مما جعلها تدر موارد مالية كبيرة للإيالة من خلال عمليات الإفتداء، إلا أن في النصف الثاني من نفس القرن تبدأ أعداد الأسرى تتناقص إلى أن تصل إلى 1600 أسير سنة 1698 حسب (Lorance (idem، وهذا يرجع لعدة أسباب داخلية وخارجية.

و كانت قيمة الأسير الاجتماعية ومبالغ الفدية، تشكل من أهم العوامل التي تتحكم في قيمة العائدات المالية للإيالة، فبالرغم من أن قيمة الفدية غير ثابتة، حيث تختلف من فترة إلى أخرى، حسب مبدأ العرض والطلب، والكثرة والندرة، فقد شكل بيع وتوزيع الأسرى، بإيالة الجزائر جزءاً مهماً من مداخيل الخزينة العامة خلال فترة الدراسة، وهذا ما أشار إليه الرحالة الإلماني هابنسترايت "تشكل تجارة الأسرى المسيحيين أحد مصادر الدخل الرئيسية للخزينة، فكل أسير له قيمة محددة حسب مكانته، فالقابودان وهو قائد السفينة يتطلب إطلاق سراحه ألفين وخمسمائة قرش، بينما معاونيه وكذلك صانع السفينة أو الجراح، فيدفع عن كل واحد منهم ألف وخمسمائة قرش، أما البحارة فعليه تسديد ألف قرش"(هابنسترايت. د.س.ن: 42) ، والجدول والمنحنى البياني التاليين يوضحان قيمة فدية الأسرى في الجزائر خلال فترة البحث من مرجعين مختلفين وبعملتين مختلفتين الجدول بالقرش الإشبيلي[9]، والمنحنى بالاسكادوس الإسباني[10].

الجدول 2: يوضح اسعار بيع الأسرى الأوروبيين في إيالة الجزائر خلال الفترة 1656– 1700م ق.إ

السنوات م	1656	1664 -1663	1666-1665	1697-1696	1700-1699
سعر الاسير	65 إلى 397	38 إلى 172	100 إلى 255	102 إلى 324	110 إلى 496

المصدر: المنور مروش، دراسات عن الجزائر، ج.1، ص 300.

الشكل 1: منحنى بياني لأسعار الأسرى وقيمة افتداءهم بإيالة الجزائر في الفترة –1609 1694الاسكودوس الاسباني

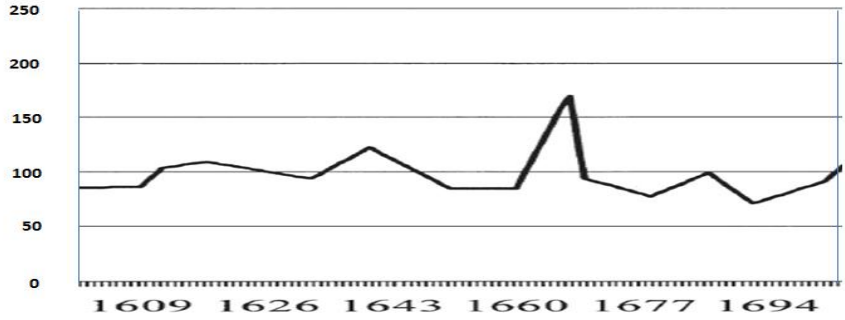

المصدر: Thomas G. Woodward, 2004, p 605.

نلاحظ من خلال الجدول والمنحنى، عدم استقرار لقيمة فدية الأسرى بل هناك ارتفاع متذبذب، فأحيانا يكون هناك ارتفاع واحيانا ينخفض قيمة الأسير، وكانت ذروة المنحنى خلال الفترة 1660-1677 حيث أن قيمة الأسير أصبحت أكثر من 170 اكسودوس إسباني، أما الجدول فيعطينا ارتفاع تدريجي لقيمة الأسير وهي محصورة بين 65- 496 ق إ، وبما أن معدل تعداد الأسرى في مدينة الجزائر خلال القرن السابع عشر 17م هو 35000 أسير؛ وبعملية حسابية نستطيع ان نحدد بها سعر الأسير الواحد، وهي نجمع أعلى قيمة في الجدول مع أقل قيمة وهي 65+ 496= 561 ق إ، والمتوسط هو 2/561= 280.5 ق.إ ويضرب عدد الأسرى في القيمة الوسطية للأسير نجد القيمة الفدية الإجمالية خلال فترة الدراسة، وهي كالتالي 35000× 280.5= 9817500 ق.إ(مشوشة، س. 2019: 240)، وبما أن القرش الإشبيلي يساوي 4,64 دينار خمسيني وعليه يكون قد دخل للإيالة 9817500 × 4,64 = 45.553.200 دخ، والذي تأخذ منه خزينة الإيالة حق البنجق وهو الخمس وعليه تتحصل على 45.553.200 ×1/5= 9.11064 دخ.

كذلك بالنسبة للمنحنى بنفس الطريقة نجد 90+175=265، والمتوسط هو 132.5 نضرب عدد الأسرى نجد القيمة الاجمالية لفدية الأسرى خلال هاته المرحلة 132.5 × 35000= 4637500 الاسكودوس الإسباني، وبما أن الاكسودوس الاسباني الواحد يساوي 4 دينار خمسيني، فإيالة الجزائر تكون قد تحصلت حسب المنحنى على 4637500 × 4=

18.550.000دخ، والذي تأخذ منه خزينة الإيالة حق البنجق أي 18.550.000×1/5= 3.710.000 د.خ .

نلاحظ أن هناك اختلاف كبير بين القيمة المالية التي يعطيها كل من المنحنى والجدول ويكون سبب هذا الاختلاف هو مصادر المعلومة التي أخذت منها المعطيات، وبالرغم من ذلك فإن هذه المبالغ المالية الكبير تحصلت ايالة الجزائر عليها من عمليات الفدية، والذي سينعكس بالرفاهية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها.

III.2- السفن والسلع:

تعتبر السفن و السلع المحملة على ظهرها، من أهم الغنائم البحرية التي يتحصل عليها البحارة الجزائريون، من السفن التجارية الأوروبية، وهي موردا مهما من موارد النشاط البحري، الذي يعدّ كمصدر مهم للاقتصاد إيالة الجزائر خلال القرن 17م، موفراً موارد مالية ضخمة، مما جعل إيالة الجزائر في انتعاش اقتصادي لمدة طويلة، والجدول التالي يحتوي على عينات من العائدات خلال هذا القرن.

الجدول 3: عدد السفن وقيمتها من 1611 إلى 1699 م

السنة	الغنائم من سفن وسلع	القيمة المالية
1613-1611	سفينتين كبيرتين	700 ألف قرش
1620	سفينتين إسبانيتين – 19 أفريل سفينة فرنسية محملة ب 121برميل – 15 أوت اخذ قارب محمل 66برميل من النبيذ – 22سبتمبر سفينة محملة بالملح مع عدد من الأسرى – في شهر أكتوبر تم الاستيلاء على 4 سفن تحتوي كل منها على بضائع تختلف عن الاخرى فواحدة بها النبيذ وأخرى فيها عدة أنواع من التوابل كالفلفل والقرفة وغيرها وأخرى بها السكر وهناك ما احتوت على الخمور والكحول – في شهر نوفمبر تم أخذ سفينتين وقاربين محملة بسلع متنوعة	45000 ايكي 450000 ايكي 15000ايكي 2000 ايكي قدرت القيمة المالية لها ب 385000 ايكي قدرت ب 420300 ايكي
1623-1622	– خمسة بوارج وسفن عظمى وكذلك على سفن انجليزية وفرنسية وإسبانية والمانية وايطالية	ب 1700000 قرش
1625-1624	هجوم البحارة الجزائريين مع التونسيين عل ميناء بيراستو بالبندقية	100000 ايكي
1626	استولى البحارة الجزائريون والتونسيون على 18 سفينة كبرى من البندقية محملة بسلع ذات قيم عالية	ب 160000 قرش

1630 -1628	تم الاستيلاء على 20 سفينة فرنسية	بقيمة 380000 ايكي
1634-1633	تم الاستيلاء على 80 سفينة فرنسية	4752000 ليرة تيرنو
1638	أخذت عدة سفين مرسيلية	56000 قرش
1639	أخذ البحارة الجزائريين سفينة إسبانية وصندلا يحتوي على 60 سبيكة من الفضة	/
1640	أخذ الجزائريون بارجتين وسفينة من إسبانيا كما أخذ الجزائريون سفينتين انجليزيتين محملة بالسلع واحدة تحتوي على سبائك الفضة وريالات إسبانية وكمية من القرمز	/ – 32000 ايكي – مليون ليرة ترنو
1644-1642	أخذ البحارة الجزائريون 5 سفن انجليزية	/
1651 -1653	أخذ سفينتين فرنسية أحدهما للرجال الدين	/
1654	أخذ الجزائريون بارجتين وسفينة محملة بسلع ثمينة قادمة من الهند	80000 قرش
1656-1655	دخلت إلى الجزائر 17 سفينة منها 6 سفن هولندية 4 سفن إسبانية	/ 100000 ايكي
1658-1657	340سفينتين من مالطا ومركبين صيد من جنوة	
1661-1660	62 سفينة انجليزية –35 سفينة هولندية – بارجة فرنسية	/ 8.3 ملايين ليرة ترنوا
1663-1662	33 سفينة من دول أوروبية مختلفة إسبانيا، الندوقية، فرنا، نابولي، مالطة...	/
1664	20 بارجة و 23 سفينة من انجلترا وإسبانيا وهولندا	/
1665	عدة صنادل وسفينة من البندقية سفينة إسبانية	 2 مليون ليرة ترنوا
1666	سفينتين و4 صنادل وبارجتين	سلع أحد السفن 40000 ايكي
1669-1667	7 سفن من إسبانيا ونابولي وهولندا	/
1670	5 سفن انجليزية وبارجة هولندية	/
1672-1671	8 سفن م الدانمارك، والبندقية، جنوة، إسبانيا، هولندا، احدى السفن الهولندية كانت تحمل 1500 برميل من الكحول المقطر ومن خمر بوردو	/
1674	38	89108.37 فرنك
1675	83	312988 فرنك
1676	58	97387 فرنك
1677	12	9143 فرنك
1681	29 سفينة فرنسية	750000 ايكي

1684	24 سفينة لدول مختلفة سفينتان برتغاليتا	40000 قرش
1685-1686	60 سفينة بعضها من اكبر البوارج لدول اوروبية مختلفة	/
1687	23 سفينة من بينها 3 سفن تجارية هولندية	/
1688-1689	19 سفينة فرنسية من المحيط الأطلسي و سفينة فرنسية محملة بالكحول في البحر المتوسط	/
1690-1692	22 سفينة منها برتغالية والجنوية والهولندية	/
1697	سفينة هولندية تحمل 10000 قنطار من الحديد وسفينة برتغالية تحمل 4000 قنطار من السكر	/
1698	6 سفن منها سفينة هولندية وأخرى برتغالية بسلع عالية القيمة	/
1699	5 سفن هولندية، برتغالية، جنوية	/

المصدر: تم اعداد هذا الجدول من قبل الباحثة اعتمادا على معطيات من مراجع التالية (Grammont,H.D. 1879/37-38)، (المنور، م. 2009: 318، 349)، (Devoulx, A. 1872M 9-10).

من خلال الجدول المقدم، نلاحظ الحجم الكبير للغنائم البحرية (سفن، سلع) المجلوبة لإيالة الجزائر خلال القرن السابع عشر17م، نتيجة النشاط المكثف للأسطول البحري، داخل البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، ضد السفن التجارية للدول الأوروبية، التي هي في حالة حرب مع الجزائر، وبالرغم من أن هناك عدة سفن وسلع لم نتحصل على قيمتها، فإنه ومن خلال المبالغ المالية للغنائم المبينة في الجدول أعلاه، نلاحظ دخول مبالغ كبيرة للإيالة الجزائرية والمقدرة بـ 2736000 قرش إ و 2314300 ايكي و 508626.37 فرنك و 16052000 ليرة ترنوا، نقوم بتحويل هذه المبالغ إلى عملة الدينار الخمسيني وذلك بمعرفة قيمة الصرف بينه وبين العملات الأخرى، 1 ايكي يساوي 4 دينار خمسيني في أغلب القرن 17م

1 قرش إ يساوي 4.64 دينار خمسيني في أغلب القرن 17م

1 ليرة ترنو تساوي 2 دينار خمسيني في أغلب القرن 17م[11].

وعليه تكون 2736000×4.64= 12695040 دخ

2314300× 4= 9257200 دخ

16052000× 2= 32104000 دخ

إذاً لقد دخل إلى إيالة الجزائر 54056240 دخ و508626.37 فرنك.

حسب الجدول نلاحظ أيضا أن هذا المبالغ ليست هي كل الأموال التي تحصلت عليها البحرية الجزائرية خلال القرن المدروس، بسبب قلة الوثائق الأرشيفية التي يمكن أن يطلع عليها الباحث فأغلب هذه المعلومات أخذت من كتابات الأسرى أو مما خطه قناصل الدول الأجنبية من معلومات، وكما هو معروف أن أغلب المعطيات المأخوذة من مصادر ليست أرشيفية، لا تخلوا من الذاتية إما بالتضخيم أو التقزيم من جهة، وأيضا نجد أن رياس البحر لا يسرحوا بكل الغنائم، خاصة وأن خزينة الإيالة تأخذ البنجق، و توزيع الغنائم الباقية حسب قواعد محددة كما أشرنا اعلاه.

كما نرى أيضا من خلال الجدول هناك سفن وسلع لم تعط قيمتها المالية إذاً فالمعلومات المتوفرة لدينا ليست كل الحقيقة، إلا أن ما توفر من معلومات تعطي انطباعاً كبيراً على الثراء الذي وفرته البحرية في ذلك القرن، وبما أن الخزينة لها حق البنجق أي الخمس فبعملية حسابية نجد 54056240× 1/5= 10811248دخ، 508626.37× 1/5= 101725.274 فرنك.

ولمعرفة القيمة المالية لغنائم البحر (أسرى وسفن وسلع) التي تحصلت عليها الخزينة هناك طريقتين:

- الأولى نتخذ قيمة الأسرى حسب الجدول الموضح أعلاه فنجد 9.11064 د.خ نضيف لها القيمة المالية للسفن والسلع المقدرة ب10811248 د.خ فنجد ما دخل للخزية من أموال هو 11722312د.خ و101725.274 فرنك وقتذاك .

- الثانية نتخذ قيمة الأسرى حسب المنحنى فنجد 3.710.000 د.خ نضيف لها القيمة المالية للسفن والسلع المقدرة ب10811248. د.خ فنجد قد دخل للخزية 14521248 د.خ و و101725.274 فرنك وقتذك.

كل هذه سيكون له انعكاس إيجابي على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسي لساكنة الايالة .

IV. الخلاصة و النتائج

وأخير ومما تم طرحه نرى أن نشاط البحرية الجزائرية، كان له دوراً بارزاً في تفعيل الحركة التجارية داخلياً وخارجياً، مما انعكس على الجانب الاقتصادي للإيالة الجزائرية، بسبب تفاعلات عدّة، تطورت خلالها البحرية الجزائرية وتمكنت من زيادة مواردها (أسرى وسلع) خلال القرن السابع عشر الميلادي 17م، وسيطر أسطولها على البحر الأبيض المتوسط ووصل إلى المحيط الأطلسي، كردة فعل اقتصادية على احتكار البحرية الأوروبية للتجارة العالمية بسبب تحول طرق التجارية العالمية.

مما انعكس ايجاباً على تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية داخل الإيالة، فالتأثير الاجتماعي كان من خلال توافد أجناس مختلفة للجزائر، كالأندلسيون والعثمانيون، والأسرى الأوروبيون، والأوروبيين الراغبون في الثراء، هذا التنوع البشري سيكون له تأثير كبير على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، أما الاقتصادي فيتمثل فيما يوفره الأسطول البحري للقطاع التجاري من بضائع مختلفة، أسرى و سلع يتم تسويقها داخل أسواق الإيالة وخارجها مما جعلها قبلة للعديد من التجار من مناطق و أجناس مختلفة، مما أدى إلى توفير مناصب شغل عديدة للعمالة الجزائرية، وعليه أعتبرت البحرية العمود الفقري للتجارة داخل الايالة وقتذاك، وسياسيا سيطرة رياس البحر على مقاليد الحكم طيلة القرن السابع عشر، ولهذا وصف بعض المؤرخين مدينة الجزائر خلال هذا الفترة بأنها مدينة بحجم المتوسط[1].

-الشروحات والتعليقات:

[1] تولى حكم مدينة الجزائر بعد تنحية حسن بن خير الدين سنة 1552م إلى غاية 1556م، كانت اهتماماته منصبة حول اقرار النظام والقضاء على حركات التمرد، توسيع نفوذ السلطة في الأقاليم الجنوبية، كما عمل على وقف تدخلات السلطة السعدية بإقليم تلمسان، مستعملا سياسة المهادنة مع الدولة السعدية مما جعله يكسب ود محمد الشيخ المهدي، ينظر ناصر الدين سعيدون، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني** ، البصائر، الجزائر، ط.2، 2013، 292.

[2] عين حاكما على الجزائر مرتين الأولى سنة 1578م، عمل على تحصين مدينة الجزائر، كان حاكما صارما، فرضع على السكان ضرائب باهضة، عرفت فترة حكمه مجاعات كبيرة، مما جعل سكان مدينة الجزائر يرفضون دفع تلك الضرائب، استدعى من طرف علج على للعمل في الاسطول العثماني، وبعد فرار قائد رمضان إلى طرابلس عين حاكما للمرة الثانية على الجزائر، وبعد وفاة علج على سنة 1587، عين قائدا للأسطول البحري العثماني، ينظر عمار عمورة، **موجز في تاريخ الجزائر**، دار الريحان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2002، ص، ص 95، 96.

[3] في هذه النقطة يقول فرناند بروديل تم استبدال الحرب العظمى التي تميزت بنفقاتها المرتفعة وعتادها العسكري الكبير، بالحرب الصغيرة أو حرب القرصنة، الأقل تكلفة ولكن أكثر فائدة وفاعلية، ومن بين المدن العثمانية المغاربية التي مارست القرصنة نجد الجزائر، تونس، جيجل، تطوان، سلا، ينظر José Antonio Martinez Torres, " **Europa y el rescate de cautivos en el Mediterràneo durante la temprana Edad Moderna** ", Espacio, Tiempo y Forma, Serie IV, Historia Moderna, T 18-19, 2005-2006, p 74

[4] بدخول الرياس القادمون من بلاد الشمال تغيرت نظرة الجزائريين للمحيط الأطلسي، بحر الظلمات كما كان يسمى، وذلك بسبب دخول السفن العالية الجوانب المتعددة السطوح، التي حلت محل سفن التجذيف، مما سمح لهم بالملاحة طيلة أيام السنة، ينظر: المنور مروش، المرجع السابق، ص 308.

[5] تأسست شركة الهند الشرقية الهولندية سنة 1594م، وشركة الهند الشرقية الانجليزية سنة 1600م.

[6] أوليجركية: تعني حكم الاقلية حيث تكون السيطرة على الحكم بأيدي بعض الأشخاص أو العائلات: ينظر اسحاق زتوني، المرجع السابق، ص 31.

[7] غيرت البحرية الجزائرية خلال القرن السابع عشر اعتمادها على السفن التي تسير بالتجديف إلى السفن الشراعية والمستديرة، مما جعلها تتخلى عن الأعداد الهائلة من المجدفين، للتغير أهمية الأسر من أسر لأجل التجديف إلى أسر من أجل أموال الفدية.

[8] يسمى أيضا بالبادستانو وهو مبنى حجري قوي، ومغطى في وسط السوق، كان مخصصا للسلع والبضائع المختلفة، ليتحول فيما بعد إلى سوقا مخصصة لبيع وشراء الأسرى، يقع في مدينة الجزائر بالقرب من الجامع الجديد، ينظر، سمير مشوشة، المرجع السابق، ص 233.

[9] **القرش الإشبيلي**، اطلق عليه اسم الريال، وهو متكون من 8 ريالات، كان عملة التداول في جزء كبير من العالم خلال القرنين السادس عشر، والسابع عشر، تدعى سكة 8، البوجو القوي، لتسمى فيما بعد بالقرش piastre، كان معدل الصرف بين القرش اشبيلي والدنار الخمسيني هو 4.64 في النصف الأول من القرن السابع عشر، حين كانت العملة الجزائرية مستقرة غاية 1685 ، لتظهر وحدات حسابية جديدة كالريال دراهم صغيرة والذي اختلف معدل الصرف حيث أن سنة 16921 ق إ يساوي 2000 رد ص، ينظر المنور مروش، العملة الاسعار والمداخيل، ج.1، المرجع السابق، ص، ص 41, 47.

[10] **الاسكودوس الاسباني**، هو عملة نقدية إسبانية، وهي عملة ذهبية، كانت تساوي 4دينار خمسيني حسب ما أورده هايدو في الفترة 1595-1596م، ينظر، المنور مروش، العملة الاسعار والمداخيل، ج.1، المرجع السابق، ص 40.

[11] للمزيد حول معرفة العملات وقيمة الصرف خلال العهد العثماني ينظر، المنور مروش، دراسات عن الجزائر ، ج.1، المرجع السابق، ص، ص 40، 47.

– المراجع :

1. إميلي، حسن.(2003) .العثمانيون و البحر المتوسط الاشكاليات والمقاربات الجديدة، العثمانيون والعالم المتوسط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 109، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
2. بربا روس، خير الدين.(2010). مذكرات خير الدين بربا روس. (ط.1). تر. محمد دراج. الجزائر: شركة أصالة للنشر والتوزيع.
3. برو ديل فرنان.(1993). المتوسط والعالم المتوسطتر. مروان أبي سماحة. .(ط.1).دار المنتج العربي: بيروت.
4. بن اشنهو، عبد الحميد.(ماي جوان 1972).الدور الذي لعبته الجزائر في القرن 16 بالبحر المتوسط. مجلة الأصالة. (ع.8)، 296.
5. بوعزيز، يحي. (2009). علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500– 1830. الجزائر: دار البصائر.
6. جغلول، عبد القادر.(1983). تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسيولوجية .(ط.3). تر. فيصل عباس. الجزائر.
7. سبنسر، وليام. (2006). الجزائر في عهد رياس البحر. تر عبد القادر زبادية. الجزائر: دار القصبة للنشر.
8. سعيدون، ناصر الدين.(2013). تاريخ الجزائر في العهد العثماني. (ط.2).الجزائر: البصائر.
9. سعيدوني، ناصر الدين ، بوعبدلي المهدي ، (1984).الجزائر في التاريخ ج.4 العهد العثماني. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
10. سعيدوني، ناصر الدين.(2013).دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي في الجزائر.(ط.2). الجزائر: دار البصائر.
11. شوفالييه،كوربين. (2007). الثلاثون السنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510–1541، تر. جمال حمادنة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
12. عبد القادر، نور الدين.(2006).صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي. الجزائر :دار الحضار.
13. عمورة، عمار.(2002). موجز في تاريخ الجزائر.(ط.1). الجزائر: دار الريحان للنشر والتوزيع.
14. عنان، محمد عبد الله.(1998). **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**.(ط.4). القاهرة: مكتبة الخانجي.
15. قنان، جمال.(1994). قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
16. المدني، أحمد توفيق.(1965). حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792م. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
17. مروش، المنور. (2009). دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطيل والواقع. (ج. 1.2). الجزائر: دار القصبة للنشر.

18. هابنسترايت، (**د.س.ن**).رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/ **1732م**. تر. ناصر الدين سعيدوني. تونس: دار الغرب الإسلامي.

19. بليل، رحمونة. (مارس 2010). دور العمل البحري في اقتصاد ايالة الجزائر خلال القرن 18م، الحوار المتوسط، مج 2.(ع1). 19-30.

20. سيدهم، فاطمة الزهراء.(سبتمبر 2011). موارد إيالة الجزائر المالية في مطلع القرن التاسع عشر. مجلة كان التاريخية. (ع.13).

21. هلايلي، حنيفي – مسعودة، بوجلال .(مارس 2017) قضايا البحر الأبيض المتوسط بين بين الجهاد والصليبية من خلال كتابات فرناند بروديل. الحوار المتوسط. مج 8. (ع1). 564-682

22. محمد، بن سعدين.(ديسمبر 2017) الاسطول البحري ودوره في ايالة الجزائر خلال القرن 11هـ/ 17م. مجلة الحوار المتوسطي، مج 8. (ع2). 78-90.

23. زيتوني، اسحاق.(2012). البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية 1519-1800م. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث. جامعة غرداية. الجزائر.

24. عطلي، محمد الأمين. (2012). نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث. جامعة غرداية. الجزائر.

25. غطاس، عائشة. (1985). العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619- 1674). رسالة ماجستير. جامعة الجزائر. الجزائر.

26. Adrien Berbrugger (1860), Le P**égnon d'Alger, ou Les origines Algérie, du gouvernement turc**, libraure challame, Paris.

27. D. de Grammont (1879), **Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVIIe siècle**, Première partie, Alger, Adolphe Jourdan , Libraire-Éditeur 4, place du gouvernement.

28. Daniel Panzac (2002), **Les esclaves et leurs rançons chez les barbaresques (fin XVIIIe - début XIXe siècle)**, revue Cahiers de la Méditerranée, (65), p 2.

29. Devoulx (Albert) (1872), **Le Registre des prises Maritimes, document authentique et inédit concernant le partage des captures amenées par les corsaires algériens**, Typographie A jourdak, ALGER.

30. DEVOULX(Albert) (1869), **la marine de la régence d'Alger,** Revue africaine, volume 13.

31. Fernand Braudel (1928), **Les Espagnols et La Berbérie De 1492 à 1577**, Revue africaine, volume 69.

32. Gilbert BUTI (2005**), Aller en caravane le cabotage lointain en Méditerranée, XVIIe et XVIIIe siècles**, Revue, d'histoire moderne & contemporaine, (52-1).

33. Gilbert Buti, **Philippe Hrodej (2017), Histoire des pirates et des corsaires de l'Antiquité à nos jours**, Revue d'histoire moderne & contemporaine,(64-2),P 218.
34. Jean-Pierre Poussou (2005), Rivalités maritimes européennes : XVIe-XIXe siècles, Revue d'histoire maritime, (N4°), Paris Sorbonne Pups.
35. José Antonio Martinez Torres (2005-2006), **Europa y el rescate de cautivos en el Mediterràneo durante la temprana Edad Moderna**, Espacio, Tiempo y Forma, Serie IV, Historia Moderna, T 18-19.
36. Xavier Labat Saint-Vincent (Aoute 2002), **La course et le corso en Méditerranée du XVIe au XIXe siècle**, revue Clio, OnLine: https://www.Clio. fr/ 12/07/2019.